مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية
المجلد 150 (3): 1-19

Damascus university journal of Historical Studies
V 150 (3):1-19

هجرة العلماء والأدباء من دمشق إلى بغداد في العصر العباسي الأول القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي: دوافعها وآثارها

إبراهيم علي الشنيور[1]، أ.د. اكتمال اسماعيل[2]

[1]طالب دراسات عليا (دكتوراه)– جامعة دمشق– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– قسم التاريخ

[2]أستاذة دكتورة– جامعة دمشق– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– قسم التاريخ

الملخص

تُعد هجرة العلماء من الظواهر ذات الأثر العميق في بناء المعرفة ونقلها عبر العصور، حيث شكلت هجرة علماء دمشق إلى بغداد في العصر العباسي الأول محطة مهمة في تاريخ الفكر الإسلامي، إذ لا يمكن فهمها بوصفها مجرد انتقال أفراد من مدينة إلى أخرى، أو بوصفها نتيجة مباشرة لتحول مركز الخلافة من الأمويين إلى العباسيين، بل ينبغي النظر إليها بوصفها ظاهرة حضارية مركّبة، وتحولاً بنيوياً في مركز إنتاج المعرفة داخل الحضارة العربية الإسلامية. ولم تكن هذه الهجرة نتيجة عامل منفرد، بل ثمرة مجموعة متشابكة من الدوافع السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية، التي دفعت العلماء الدمشقيين إلى البحث عن بيئة جديدة تتوافر فيها مقومات الإنتاج العلمي والاستقرار، ففقدان دمشق للبلاط والخلافة أدى إلى تقلص فرص الرعاية الرسمية للأدباء والعلماء، في الوقت الذي أصبحت فيه بغداد مركز جذب علمي يفوق غيره من الحواضر العربية والإسلامية في ذلك العصر، فانتقلت النخبة من المدينة القديمة إلى المدينة الجديدة، حاملة معها تقاليد الكتابة وأساليب الشعر والخبرات الإدارية ومختلف العلوم الأخرى. وقد أدت هذه الهجرة إلى ترسيخ الشرعية السياسية للدولة العباسية وتطوير جهازها الإداري، وأسهمت في إثراء البيئة العلمية لبغداد وتوسيع نطاق البحث العلمي ونقل التجربة الحضارية الأموية الشامية إلى العاصمة العباسية، كما أدت إلى إحداث حراك اجتماعي داخل المجتمع العباسي ارتفعت فيه مكانة العلماء. وأمام كل ذلك حافظت دمشق على مكانتها العلمية والثقافية. فقد بقيت حاضنة للغة، والأدب، والطب، والكتابة الديوانية، مستفيدة من تراكم خبرات قرنٍ كامل تقريباً من الإدارة الأموية.

تاريخ الايداع: **2026/3/15**
تاريخ النشر: **2026/5/3**

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر
CC BY-NC-SAبموجب

الكلمات المفتاحية: الهجرة، العلماء، دمشق، بغداد، العصر العباسي الأول

ISSN (online)
http://journal.damascusuniversity.edu.sy/index.php/index/index

The Emigration of Scholars and Men of Letters from Damascus to Baghdad during the First Abbasid Era (132-227 AH / 750-842 AD): Its Reasons and effects.

Ibrahim Ali Alshniour[1], Dr. Ektimal Esmael[2]

[1]Postgraduate Student (PhD) – Damascus University – Faculty of Arts and Humanities – Department of History.

[2]Professor Doctorate - Damascus University – Faculty of Arts and Humanities – Department of History.

Summary:

The emigration of scientists is one of the phenomena that has a deep effect in building knowledge and transferring it throughout Ages. The emigration of scientists of Damascus to Baghdad during the early Abbasi time was an important stage in the history of Islamic thought. It can't be understood just as mere movement of individuals from one city to another, or it can't be described as a direct result of the shift of the center of caliphate from Umayyad rule to Abbasi rule. However, it should be viewed as compound civilized phenomenon, and structural change in the center of knowledge production within the Arab Islamic Civilization. This emigration wasn't a result of single factor but it was a result of a group of complicated political, economic, scientific and social reasons, which forced the Damascene scientists to look for a new environment that contains all the requirements of scientific production and stability. When Damascus lost the court and the center of caliphate, that led to reduce chances of official care for scientists and thinkers. Meanwhile, Baghdad became center of attraction of science that exceeded other Arab and Islamic Capitals at that time.

So, the elite scientists moved from the old city to the new one, they brought with them traditions of writing, styles of poetry and administrative experiences and various other sciences. This emigration led to establishment of political legitimacy of the Abbasi state and developed it administrative system. It contributed to enrich the scientific environment of Baghdad city and expanded the scope of scientific research and transferred the civilized experiment of Damascus to the Abbasi capital (Baghdad). This led to a great social movement within the Abbasi society which raised the position of scientists. In spite of all these circumstances. Damascus kept its scientific and cultural position and remained a base of the language, literature, medicine and calligraphy benefiting from past experiences of a whole century of the Umayyad administration.

Key words: Emigration , Scientists , Damascus, Baghdad, The early Abbasi time.

Received: **15/3/2026**
Accepted: **3/5/2026**

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a **CC BY- NC-SA**

أولاً: المقدمة

شغل العلم مكانةً مركزية في البناء الحضاري منذ اللحظات الأولى لظهور الإسلام، إذ اقترن الوحي الإلهي بالأمر بالقراءة والتعلم، وربط بين العلم والإيمان ربطاً عضوياً. كقوله تعالى، بسم الله الرحمن الرحيم: {وقل ربِ زدني علما}، (سورة طه، الآية: 114). وقوله تعالى: {وهل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون}، (سورة الزمر، الآية: 90). وقد كانت مدن دمشق وبغداد من أبرز المدن التي شهدت تبلور هذه الرؤية العلمية، لما تمتعت به دمشق من إرث حضاري سابق، وبغداد من اهتمام بالعلم واستقطاب لكل علماء المراكز الإسلامية، بالإضافة إلى موقعهما الجغرافي الاستراتيجي، ولدورهما السياسي والإداري المحوري في الدولة العربية الإسلامية.

وتُعدّ هجرة العلماء من الظواهر الحضارية الكبرى التي رافقت تشكّل المراكز العلمية في التاريخ العربي والإسلامي، ولا سيما في العصر العباسي الأول، حيث شهد العالم العربي والإسلامي تحوّلاً جذرياً في بنيته السياسية والاجتماعية والعلمية وكان لذلك أثر بالغ في إعادة رسم الخريطة العلمية بين الحواضر العربية والإسلامية. ومن هنا فقد كانت هجرة العلماء من دمشق إلى بغداد من أبرز تلك الحركات، إذ لم تكن مجرّد انتقالٍ جغرافي للعلماء فحسب، بل كانت انتقالاً لمناهج ومدارس فكرية نشأت في بلاد الشام خلال العصر الأموي، ثم دخلت مرحلة جديدة من التفاعل والتطوير بعد انتقال مركز الخلافة إلى العراق سنة 132هـ/750م. وقد أسهم هذا الانتقال في إغناء الحياة العلمية في العراق، كما ترك أثراً واضحاً على البيئة الثقافية في دمشق نفسها، بما ترتّب عليه من تراجع المكانة العلمية للشام مقارنة بما كانت عليه في العصر الأموي.

لقد كانت دمشق طوال ما يقارب المئة عام من الحكم الأموي، مركزاً سياسياً وعلميًا بارزاً، ومقراً للخلافة، ومحطّة للعلماء والرواة، ومحطة تزدهر فيها مؤسسات التعليم من كتاتيب ومجالس العلم في بيوت العلماء وحلقات العلم داخل المسجد الأموي وغيره من مساجد المدينة (ابن عساكر، 1995، ج1، 44، 46)؛ (الكندي،1908، 22، 30). غير أنّ انتقال مركز الخلافة إلى العراق في أوائل العصر العباسي غيّر المعادلة جذرياً، إذ أصبحت بغداد بجاذبيتها العلمية، ورعاية خلفائها للعلم، وثراء مكتباتها، وتعدّد تياراتها الفكرية، مركزاً جاذباً للعلماء من مختلف الأقاليم، ومنهم علماء دمشق الذين وجدوا في العراق فضاءً أرحب للبحث والتدريس والحوار العلمي (اليعقوبي، 2010، م2، 319)؛ (kennedy,1981,91,102).

وهنا يظهر التساؤل الآتي: ما أهمية دراسة هذه الهجرة؟

تبرز أهمية دراسة هجرة علماء دمشق إلى بغداد بوصفها مفتاحاً لفهم طبيعة العلاقات العلمية والثقافية بين بلاد الشام والعراق، وكيف أسهمت التحوّلات السياسية في تحويل الأنظار من مركز علمي راسخ إلى مركز جديد آخذ في الصعود. كما تكشف الدراسة عن آليات انتقال المدارس العلمية، وكيف أعادت هذه الحركة رسم الحدود الثقافية بين الأقاليم، وأسهمت في صياغة الهوية العلمية للعصر العباسي.

إشكالية البحث:

تكمن الإشكالية الأساسية للبحث في أن معظم الدراسات تناولت الحركة العلمية في بغداد أو دمشق كلاً على حدة، بينما لم تحظَ ظاهرة الهجرة العلمية بين المدينتين، ولا سيما من دمشق إلى بغداد في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، بدراسة شاملة تجمع بين التحليل التاريخي والتراجم التفصيلية. ويتفرع عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات من أهمها:

1- ما هي العوامل السياسية والعلمية والاجتماعية التي دفعت علماء دمشق للتوجه نحو بغداد في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي؟

2- من هم أبرز العلماء الدمشقيين الذين انتقلوا إلى بغداد في هذه المرحلة، وما هي مجالات إسهامهم العلمي؟

3- ما هي نتائج الهجرة على كل من بغداد ودمشق؟

4- إلى أي حد أسهمت هذه الهجرة في انتقال العلوم وتكامل المدارس العلمية بين الشام والعراق؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية هذا البحث في جوانب عديدة، من أهمها:

1- تسليط الضوء على مرحلة مفصلية في تاريخ العالم العربي الإسلامي، والتي شهدت تفاعلاً بين المراكز العلمية الكبرى.

2- خدمة التراث الحضاري من خلال إبراز الدور العلمي لعلماء دمشق خارج مدينتهم.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق ما يأتي:

1- الإحاطة بالظروف التاريخية والسياسية التي دفعت علماء دمشق للهجرة إلى بغداد.

2- تسليط الضوء على عدد من العلماء الدمشقيين الذين انتقلوا إلى بغداد في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

3- إبراز التفاعل العلمي بين مدرستي دمشق وبغداد.

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على مناهج علمية عديدة من أجل الوصول إلى تحليل دقيق وشامل للموضوع:

1- المنهج التاريخي بأسلوب تحليلي في تتبع الأحداث التي أثرت في تطور الحياة العلمية في العصر الأموي والعصر العباسي الأول، وتحليلها في سياقها الزمني.

2- رصد تطور العلوم في الحقبة الأمويّة والعباسيّة، واستخراج المعلومات من مصادرها الأصيلة وتوظيفها في سياقها التاريخي الصحيح واستقرائها.

حدود البحث:

1- الحد الزمني: القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي.

2- الحد المكاني: مدينة دمشق ومدينة بغداد.

3- الحد الموضوعي: العلماء الدمشقيون الذين هاجروا إلى بغداد وإسهاماتهم العلمية.

ثانياً: دمشق علمياً في أواخر العصر الأموي وبدايات العصر العباسي

لم يكن اختيار الأمويين لدمشق عاصمة لدولتهم عاملاً سياسياً فحسب، بل حمل أبعاداً ثقافية عميقة. فوجود البلاط الأموي في المدينة جعلها نقطة لقاء للعلماء وحفاظ القرآن والحديث، إضافة إلى الشعراء الذين مثّلوا واجهة الدولة الثقافية. وفيها بدأت بوادر الترجمة والتدوين، وقد أسهم في ذلك وجود الكثير من الصحابة الذين كانوا قادة للعلم وتتلمذ على أيديهم الكثير من العلماء والفقهاء (ابن عساكر، 1978، ج51، 70)، بالإضافة إلى تعدد ثقافات سكانها من فرس وروم وعرب إضافةً إلى المسلمين وأهل الذمة، حيث ساعدوا في تطور الحركة العلمية بما كان عندهم من علم سبقوا به العرب (الزور، د.ت، 8)، كما أسهم تشجيع الخلفاء للعلم والعلماء وتقديم المساعدات اللازمة في تطور الحركة العلمية وتوسعها (الذهبي، 1996، ج4، 348)؛ (السمعاني، 1980، 44).

تعددت مؤسسات التعليم وتنوعت في ذلك العصر، منها ما كان امتداداً لما كان موجود في عصر صدر الإسلام، مثل الكتاتيب التي استمرت في أداء دورها في تعليم القراءة والكتابة. بالإضافة إلى ظهور كتاتيب أخرى لتعليم القرآن الكريم (أبيض، 1980، 262)؛ (أحمد، 1974، 215)، فيما بقي المسجد في مقدمة المؤسسات التعليمية، فقد ضمت أروقته العديد من حلقات العلم في شتى العلوم والفنون. إذ أصبح المسجد الأموي بعد اكتمال بنائه في عهد الوليد بن عبد الملك سنة (96هـ/715م) مركزاً ثقافياً فريداً، اجتذبت أروقته العلماء من مختلف الأقاليم، وامتاز بكثافة الحلقات العلمية داخله، وتنوّعها بين الفقه، والحديث، والقراءات، واللغة، والتفسير، وكان يضم المسجد

عشرات الحلقات المنتظمة، مما يجعله من أكبر المراكز العلمية في العالم العربي والإسلامي آنذاك. كما ارتبطت هذه الحلقات بطابع رسمي نسبي، إذ كان الخلفاء الأمويون يدعمونها أحياناً بالرواتب أو العطاءات (المقدسي، 1991، 159، 161)؛ (أحمد، 1974، 218)؛ (عبد العزيز، 1973، 219). كما ظهرت مؤسسات علمية أخرى تمثلت بمجالس العلم في منازل العلماء إلى جانب حلقاتهم العلمية في المساجد (ابن عساكر، 1995، ج37، 118)، وكذلك ظهرت مجالس العلم في قصور الخلفاء والأمراء كنوع جديد من المؤسسات التعليمية في الشام في العصر الأموي (أبيض، 1980، 125).

وبرز في دمشق خلال القرن الأول للهجرة/ السابع للميلاد عدد من العلماء الذين شكّلوا مدرسة شامية متعددة العلوم وواضحة المعالم، من أبرزهم مكحول الدمشقي [1]، الذي أسس مع غيره من علماء دمشق لتقليد علمي حافظ على استقلاله النسبي عن مدارس الحجاز والعراق (الذهبي، 1996، ج5، 156). حيث اتسمت المدرسة الشامية بالاعتدال في الفقه، واهتمامها بالحديث، وبمنهج وصفي يعتمد جمع الروايات أكثر من الدخول في الجدل الفقهي الذي ظهر لاحقاً في العراق.

وشهدت دمشق في أواخر العصر الأموي ازدهاراً واسعاً لعلوم القرآن الكريم والفقه، ولقي علم الحديث عناية خاصة، إذ توافرت فيها طبقة من الرواة الثقات ممن عرفوا بالحفظ والضبط، الذين كان لهم تأثير واسع في حركة الحديث في العراق وكان بعضهم مرجعاً لأهل العراق والحجاز [2]. كما بدأت مرحلة التدوين الرسمي للحديث، وكُلِّف محمد بن شهاب الزهري الذي يعد من أبرز أعلام هذه المرحلة من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز بجمع الحديث خوفاً من ضياعه (ابن سعد، 1968، ج7، 440، 445)؛ (الذهبي، 1996، ج5، 331)؛ (السيوطي، 1959، 40).

ومن العلوم التي اشتهروا بها كذلك التفسير، الذي امتاز في الشام بميزتين، الأولى عدم التشدد في تفسير القرآن الكريم، والثانية عدم الخوض في مسائل الكلام أو التفسير القائم على الجدل (علي، 1994، 339)؛ (الزور، د. ت، 56). كما ازدهر الأدب والشعر والنحو أيضاً في دمشق أواخر العصر الأموي، حيث تعددت المجالس الأدبية التي جمعت بين الأدب والسياسة، والتي كان لها دور في تشكيل رؤية ثقافية موحّدة للدولة (الجاحظ، 1992، ج1، 218)؛ (المصنف، 2000، 212). وبدأت تظهر بوادر الاهتمام بالعلوم العقلية خاصة في مجال الطب والكيمياء من خلال ترجمة الكتب الطبية إلى اللغة العربية، واستقدام أطباء من أصول سريانية ويونانية للعمل في دمشق، فأسهموا في نقل المعارف الطبية إلى المجتمع العربي الإسلامي، وتم بناء أول بيمارستان في عهد الوليد بن عبد الملك سنة (88هـ/ 706م) (عيسى بك، 1981، 203)، كما اهتم الامويون بعلم الجغرافية والفلك وغيرها من العلوم العقلية (ابن عساكر، 1995، ج11، 292)؛ (الجاحظ، 1992، ج1، 267)؛ (فروخ، 1970، 113). إضافةً للعلوم التاريخية التي حظيت باهتمام كبير من قبل الأمويين، لاسيما فن السير والمغازي والأنساب والأخبار (ابن عساكر، 1978، ج1، 71)؛ (الزور، د. ت، 202).

تركت الاضطرابات السياسية العنيفة أثراً مباشراً على نشاط الحلقات العلمية في السنوات الأخيرة من الحكم الأموي، ومنها الصراع بين مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين (127– 132هـ/ 744– 750م) والعباسيين، حيث أثرت على استقرار العلماء في دمشق. فابتعد الكثير منهم عن المشاركة في الشؤون العامة، بينما لجأ آخرون إلى مغادرة المدينة مؤقتاً نحو بصرى والقدس.

ومثلت دمشق في أواخر العصر الأموي إحدى أكثر الحواضر العربية الإسلامية تأثيراً في صياغة الحياة العلمية والثقافية في القرنين الأول والثاني للهجرة/ السابع والثامن للميلاد. فبصفتها عاصمة الدولة الأموية لمدة تقارب القرن، فقد اكتسبت طبيعة سياسية مركزية انعكست بصورة مباشرة على بيئتها الثقافية، حيث استقطبت كبار العلماء، والرواة، والفقهاء، والشعراء، واللغويين. ومع نهاية الحكم الأموي

(1) – يُعد مكحول بن أبي مسلم شهراب بن شاذل بن شروان (ت 112هـ/ 730م) من كبار فقهاء الشام وأشهرهم، وقد تميّز بسعة علمه وكثرة رحلاته في طلب الحديث. أخذ عن عدد من الصحابة، وأسهم في ترسيخ المدرسة الفقهية الشامية، وكان يُرجع إليه في الفتوى والقضاء. (ابن سعد، محمد بن سعد. 1968. الطبقات الكبرى. تح: احسان عباس. ط: 1. بيروت: لبنان. دار صادر. ج: 7. ص: 453).

(2) – سيرد ذكرهم لاحقاً في عنوان علماء دمشق الذين هاجروا إلى بغداد

وسقوط دمشق في يد العباسيين سنة 132هـ/ 750م، شهدت المدينة تحوّلاً عميقاً في دورها السياسي، إذ انتقل مركز الخلافة إلى العراق، الأمر الذي أثّر في بنيتها العلمية وأدى لاحقاً إلى هجرة عدد كبير من علمائها نحو بغداد والكوفة والبصرة. وعاشت دمشق فترة فراغ سياسي قصير مع دخول قوات أبي مسلم الخراساني إلى الشام، إذ تراجعت المؤسسات العلمية فيها، والتي كانت تعتمد على دعم الدولة. كما تعرّضت بعض أحيائها لأضرار نتيجة الصراع العسكري بين الأمويين والعباسيين، مما أثّر على الاستقرار الاجتماعي.

ومع قيام الدولة العباسية سنة 132هـ/750م، فقدت دمشق دورها بوصفها مركز الخلافة، وأصبحت مدينة إقليمية ضمن ولاية الشام. وقد أدّى هذا التحوّل إلى تراجع الدعم الرسمي للعلماء، خاصة أولئك الذين كانوا مقرّبين من البلاط الأموي (الطبري، 1967، ج7، 438)؛ (اليعقوبي، 2010، م2، 278). وأدى إلى تقلّص حضورها العلمي، وانتقال مركز الثقل المعرفي إلى العراق حيث استقرّ الخليفة، وحيث أُنشئت المؤسسات العلمية الكبرى.

اختلفت مواقف العلماء الدمشقيين تجاه التحوّل السياسي بين مؤيّد، ومتردد، ومحايد. فالبعض آثر البقاء في دمشق والابتعاد عن الصراع، بينما فضّل آخرون الرحيل إلى العراق بعد أن تعرضوا لضغوط سياسية بسبب قربهم من الأمويين، ومنهم عدد من المحدّثين الذين وجدوا في بغداد جمهوراً أوسع وطلبة أكثر ورعاية علمية أفضل، فاختاروا الهجرة تجنّباً للمحاسبة أو المضايقة (ابن العديم، 1988، ج1، 336)؛ (متز، 1957، ج1، 215). ولم يستثنى من هذا التغيير المسجد الأموي الذي تراجع دوره بفعل رحيل عدد من العلماء إلى العراق، إضافة إلى تفكك شبكات الرعاية العلمية التي كانت ترتبط بالعائلة الأموية. كما لم تتشكل في العقود الأولى من العصر العباسي مؤسسات بديلة تستوعب العلماء الباقين، وهو ما جعل المدينة تمرّ بمرحلة انكماش علمي. إلا أنَّ دمشق حافظت على درجة من النشاط العلمي بالرغم من هذا التراجع، إذ بقيت فيها حلقات للحديث والفقه، لكن هذه الحيوية لم تكن كافية لتعويض النزيف العلمي الذي حدث نتيجة الهجرة (ابن منظور، 1990، ج1، 126، 127).

ثالثاً: مكانة بغداد العلمية:

أسس الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور مدينة بغداد سنة 145هـ/ 762م، واختار لها موقعاً استراتيجياً على نهر دجلة، يربط بين طرق التجارة والثقافة في المشرق العربي الإسلامي. وقد أُنشئت المدينة وفق تخطيط هندسي متقن، جعلها قادرة على استيعاب الوظائف السياسية والإدارية والعلمية للدولة العباسية (الطبري، 1967، ج7، 617)؛ (ضيف، 1966، 15). وقد اتسمت سياسة الخلفاء العباسيين، ولا سيما المنصور والمهدي والرشيد، بعناية خاصة بالعلم والعلماء، إذ عملوا على استقطاب العلماء من مختلف الأقاليم. وتشجيع التدوين والتأليف. وعقد المجالس العلمية في قصور الخلافة. وتوفير العطاءات للعلماء (المسعودي، 2005، ج3، 54).

وقد أسهمت هذه السياسة في جعل بغداد مركزا علمياً عالمياً، جذب علماء الشام والحجاز ومصر وخراسان، إذ شغلت بغداد مركزاً مهماً في الحضارة العربية الإسلامية منذ بدايات القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وساعدت المراكز الفكرية التي انتشرت في بغداد على نبوغ الكثير من العلماء لاسيما علماء دمشق، وكانت المساجد من أبرز مراكز التعليم والفكر في العصر العباسي الأول، ودرست فيها العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية والأدب والنحو، وسميت كل حلقة باسم العلم الذي يُدرس فيها، فيقال حلقة أصحاب الحديث وحلقة أصحاب التفسير وحلقة الأدب وهكذا. ومن المراكز العلمية كذلك كانت قصور الخلفاء والوزراء والأمراء، وكانت حافلة بالأدباء والمفكرين والشعراء، مما جعل مجالسهم منتديات أدبية وعلمية (معروف، 1958، 38)؛ (العمري، 1990، 22).

كما كانت منازل العلماء ومجالسهم مراكز لنشر العلم والتعليم، حيث اجتمع فيها العلماء والمتعلمون، ودارت فيها المناقشات العلمية والمحاورات والمناظرات التي كانت تتناول فروع العلم المختلفة، وكان لهذه المجالس أثر بالغ في التعليم والوعي الثقافي، وذلك لأنها استلزمت أن يكون المتناظرون على معرفة جيدة بشتى العلوم وآداب المناظرة (ابن الجوزي، 1992، ج7، 344)؛ (ضيف، 1966، 47).

رابعاً: دوافع الهجرة العلمية من دمشق إلى بغداد في العصر العباسي الأول

لم تكن هجرة علماء دمشق إلى بغداد انقطاعاً عن مدينتهم الأصلية، بل جاءت امتداداً لعلاقة علمية قائمة منذ وقت مبكر، تمثلت في الرحلة في طلب الحديث، وتبادل الروايات، والتلمذة على يد شيوخ العراق. وقد ساعد هذا التواصل المبكر على تيسير الهجرة العلمية، وجعلها ظاهرة مألوفة في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ومثّلت إحدى الظواهر الثقافية البارزة التي أثّرت بعمق في مسار الحياة العلمية في المشرق العربي الإسلامي. وهنا لابد من طرح التساؤل الآتي: هل كانت هجرة العلماء من دمشق إلى بغداد جماعية أم فردية؟ وهل كانت نتيجة لدافع واحد أم نتيجة مجموعة متشابكة من الدوافع؟

لم تكن هذه الهجرة جماعية إنما كانت تنقلات فردية، ولم تكن نتيجة عامل منفرد، بل كانت ثمرة مجموعة متشابكة من الدوافع السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية، التي دفعت العلماء الدمشقيين إلى البحث عن بيئة جديدة تتوافر فيها مقوّمات الإنتاج العلمي والاستقرار ويأتي في مقدمتها:

1- الدوافع السياسية

يعدّ انتقال مركز الخلافة من دمشق إلى الكوفة أولاً، ثم إلى بغداد لاحقاً، أحد الدوافع السياسية المباشرة للهجرة العلمية. فالارتباط بين العلماء والسلطة لم يكن في العصر الأموي ارتباطاً وظيفياً بقدر ما كان ارتباط رعاية ورمزية، إذ إن وجود الخليفة في دمشق جعل المدينة مركزاً للقرار السياسي ومركزاً للعلم في الوقت ذاته (الطبري، 1976، ج7، 427)؛ (الأزدي، 1967، 68)؛ (المسعودي، 2005، ج3، 53).

ومع انتقال الخلافة إلى العراق، أصبح تأثير دمشق السياسي محدوداً، وانقطع خط الدعم الذي كان يُقدّم لحلقات العلماء، فوجد هؤلاء أنفسهم أمام بيئة لم تعد تتمتع بالمكانة المركزية التي كانت تحفّز على البقاء فيها. فشكل فقدان الرعاية الرسمية للعلماء في دمشق أحد الدوافع السياسية، إذ تميّزت الدولة الأموية برعاية عدد من العلماء الدمشقيين، سواء عبر تقريبهم من البلاط أو دعم حلقاتهم في المسجد الأموي. ومع وصول العباسيين إلى السلطة اعتمدوا بصورة أكبر على العلماء القادمين من خراسان والعراق، وعلى الاتجاهات الفكرية الموافقة لرؤيتهم السياسية، وقد أدى هذا التحوّل إلى شعور بعض علماء دمشق بتراجع مكانتهم، مما دفعهم إلى الرحيل نحو المركز الجديد حيث تتوافر فرص أكبر للقبول العلمي (اليعقوبي، 2010، م2، 333)؛ (مؤنس، 1982، 214، 216).

وشكلت نظرة العباسيون لعلماء الشام لا سيّما دمشق بوصفها المعقل التاريخي للأمويين، أحد الدوافع السياسية حيث ورثت بعض الأسر الدمشقية مكانتها من خلال قربها من الأمويين طوال قرن كامل تقريباً. وكان من الطبيعي مع مجيء العباسيين أن تزيد الشكوك اتجاه العلماء الذين كان لهم صلات سابقة بالبلاط الأموي، حتى لو كانت صلات علمية أو اجتماعية لا سياسية (ابن كثير، 2007، ج10، 337). فتجنب عدداً من العلماء البقاء في دمشق خشية سوء الظن أو المضايقات الإدارية، مما جعل الانتقال إلى العراق بالنسبة لهم خياراً مفضلاً يضمن الاستقرار والاستمرار في التدريس.

وكانت النهضة السياسية والعلمية التي شهدتها بغداد دافعاً سياسياً آخر لهجرة علماء دمشق، فقد أصبحت مقر الخلافة، ومركز القرار السياسي، ومركزاً اقتصادياً ضخماً بفضل شبكات التجارة، وكل ذلك كان عامل جذب لعلماء دمشق، الذين سعوا لتولي وظائف في الدولة مثل القضاء والكتابة، وحاولوا الاندماج في الحراك الفكري والتخلص من العزلة العلمية التي بدأت تظهر في دمشق (الخطيب البغدادي، 2004، ج1، 68، 74)؛ (ابن خلدون، 1980، 434).

2- الدوافع الاقتصادية

لم يكن لانتقال مركز الدولة من دمشق إلى بغداد منعكسات سياسية فقط بل شهدت أيضاً حالة من الاضطراب الاقتصادي، إذ تضرّرت بعض أحياء دمشق من المعارك بين العباسيين والأمويين وتغيّرت أنماط الجباية، وتراجعت عائدات الأسر التي كانت تعتمد على صِلاتها بالنظام الأموي.

وهنا لابد من طرح التساؤل الآتي: هل كان للحالة الاقتصادية تأثير على العلماء وعلى قرارهم بالبقاء أو الهجرة؟

أدّت حالة الاضطراب الاقتصادي إلى تراجع الدعم المالي الذي كان يصل إلى العلماء، سواء من خلال أوقاف أو صلات أو عطايا (الخضر، 2010، 41، 44). وفقدت المدينة بذلك أحد أهم عناصر بقائها مركزاً علمياً مزدهراً، وهو الاستقرار الاقتصادي الذي يحتاجه العلماء لتفريغ أنفسهم للبحث والتدريس. بينما مثّل العراق في المقابل مركزاً اقتصادياً غنياً ودوراً تجارياً، بفضل موقعه الجغرافي بين دجلة والفرات وغناه بمختلف الزراعات، وموقعه على طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب، إضافةً إلى ما كان يصل العاصمة من خراج وزكاة وغيرها من موارد أخرى، فتوفرت موارد ضخمة للدولة، انعكست على قدرة الخلفاء العباسيين على دعم العلماء وتوظيفهم في مواقع مثل القضاء ودار الإنشاء وديوان الرسائل والولاية والحسبة، والتدريس في المساجد الكبرى وخصصت لهم الرواتب، وساعد ذلك على توفير مصادر دخل منتظمة لهم (المسعودي، 2005، ج3، 257)؛ (ضيف، 1966، 102).

والواضح أن الدولة الجديدة اهتمت بالعلم والتعليم، حيث أقامت مؤسسات علمية ذات طابع رسمي مثل بيت الحكمة في عهد الرشيد والتي تطورت في عهد المأمون، إضافة إلى حلقات الفقه والحديث التي حظيت بدعم مادي من الدولة أو من كبار التجار (الهامي، 2013، 460). وقد جعلت هذه المؤسسات العراق مركزاً علمياً عالمياً، يستقطب العلماء من مختلف الأقاليم وفي مقدمتها الشام، ليشكل حضور المؤسسات العلمية المموّلة أحد أهم أسباب انتقال المحدثين الدمشقيين إلى بغداد (الذهبي، 1996، ج5، 326، 462).

3- الدوافع العلمية

ظهر في العراق في العصر العباسي الأول مناخ علمي فريد جمع بين مدارس الفقه والحديث واللغة والكلام، وتكامل فيه النشاط العلمي مع حركة الترجمة والتدوين، وأُعيد تنظيم الدواوين، وأُنشئت مراكز جديدة للكتابة في بغداد. وقد احتاج الخلفاء العباسيون إلى كتّاب متمرسين، يمتلكون خبرة في الإدارة وصياغة الرسائل، فكان الكتّاب الدمشقيون من أوائل هؤلاء الكتاب الذين تم استقطابهم بسبب خبرتهم الطويلة في الدولة الأموية، ومن أبرزهم سالم أبو العلاء الدمشقي، ويعقوب بن داوود [3] (الخطيب البغدادي، 2004، ج1، 74)؛ (الجهشياري، 1938، 81). وتميّزت بغداد منذ نشأتها بكونها ملتقى للمدارس العلمية المختلفة، فقد اجتمع فيها علماء الحجاز، والشام، والعراق، وخراسان، وهو ما أتاح فرصاً واسعة للاندماج الفكري والمناظرات العلمية. وقد وجد علماء دمشق في هذا التنوع بيئة مناسبة لتوسيع آفاقهم العلمية، والاطلاع على مناهج جديدة في الفقه والحديث واللغة، والاستفادة من التخصّصات الدقيقة التي لم تكن موجودة في الشام (حلاق، 2007، 55). وتميّزت بغداد بكثرة العلماء، وتنوّع طبقاتهم، وثراء مجالسهم العلمية. فقد اجتمع في بغداد فقهاء المذاهب الكبرى، والمحدّثون، واللغويون، والمفسّرون، والمتكلمون. كما نشأت اتجاهات عقلية جديدة مثل الاعتزال، والمناظرات الكلامية، والبحث العقلي الذي شجع عليه الخلفاء العباسيين، خصوصاً المأمون (الشهرستاني، 1975، ج1، 43، 44)؛ (ضيف، 1966، 103). هذه البيئة الثرية جذبت علماء دمشق الذين كانوا يبحثون عن أفق أوسع للتفاعل العلمي وزيادة المعارف.

كما أصبحت بغداد في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي من أهم مراكز تأليف الكتب وترتيب الروايات وجمع الأصول، إذ ازدهر التدوين الذي أسهم في جذب العلماء من الأقاليم للمشاركة في حركة التدوين والمشاركة في بناء هذا التراث الذي بدأ يتشكّل، حيث توافرت المكتبات، ومواد الكتابة، ودوائر النسخ، إلى جانب تشجيع الخلفاء على التأليف (النديم، 1997، 171). وكان كثير من العلماء الدمشقيين يرحلون إلى العراق طلباً للعلم واستكمال ما لم يجدوه في حلقات دمشق والأخذ عن شيوخها، إذ كان المحدّث الدمشقي يحتاج إلى السفر من أجل سماع روايات أهل العراق، لامتلاك المحدثين العراقيين أسانيد وروايات مختلفة عن روايات الشام (الذهبي، 1996، ج5، 158).

كما اشتهرت بغداد بشبكات السماع الواسعة التي جمعت العلماء من مختلف الأقاليم. وكان الحضور إليها مهماً للمحدّث الدمشقي الذي أراد بثّ رواياته وتوسيع دائرة تلاميذه. فالنشاط العلمي في بغداد كان يميل إلى تدوين الأسانيد وتوثيق الروايات، مما يجعل من وجود العالم الدمشقي فيها ضرورة لضمان استمرار روايته وانتشارها، فأثروا وتأثروا بمدرسة الحديث العراقية لاحقاً (ابن حجر، 2004، ج2، 39).

(3)- سيرد ذكرهم لاحقاً.

وظهرت في بغداد ثقافة المناظرة في كل مجالات العلم، وهو مالم يكن موجود في دمشق، فوفرت للعلماء مجالاً لعرض آرائهم والاجتهاد بحرية. والجدير ذكره أن علماء دمشق كان لهم فرصة الاطلاع على معارف فلسفية وطبية ورياضية جديدة، سيما أن بغداد احتضنت حركة الترجمة من اليونانية والفارسية والهندية وهو ما لم يكن متوفراً في دمشق بدرجة مماثلة (ضيف، 1966، 101)؛ (مقدسي، 1996، 44، 48). وأسس الخليفة المأمون أول مجمع علمي سنة 216هـ/ 832م، تضمن مرصد ومكتبة جامعة وهيئة للترجمة، إذ تُرجمت أمهات الكتب من اللغات المختلفة إلى العربية، وعُين يوحنا بن ماسويه[4] رئيساً لهذا المجمع.

إنّ هذا الانفتاح الثقافي منح العلماء الدمشقيين فرصة لتطوير ملكاتهم الفكرية، والمشاركة في المناظرات، وتوسيع شبكاتهم العلمية. وأسهمت العلاقات العلمية بين شيوخ دمشق وبغداد في تسهيل انتقال العلماء، إذ كانت هناك شبكات من التلاميذ والرواة، مما خفف من صعوبات الاغتراب، وجعل الهجرة العلمية خياراً مألوفاً ومقبولاً (ابن كثير، 2007، ج10، 363).

4- الدوافع الاجتماعية

فقد علماء دمشق مكانتهم تدريجياً مع سقوط الدولة الأموية، إذ أصبح بعضهم يشعر بأن بيئتهم الاجتماعية لم تعد توفر لهم التقدير نفسه، ومكانتهم لم تعد محمية كما كانت في الماضي. فعاشت دمشق حالة من الانكماش الاجتماعي في بدايات العصر العباسي، وشعوراً عاماً بفقدان الدور الريادي الذي كانت تؤديه سابقاً.

هل أثر المجتمع في هجرة علماء دمشق إلى بغداد؟

نعم، إن هذا الانخفاض في المكانة دفع عدداً منهم للهجرة نحو العراق عامةً وبغداد خاصةً (ابن كثير، 2007، ج10، 363)، والتي تمتع فيها العلماء بمكانة اجتماعية مرموقة، حيث كانوا يحظون بتقدير الخلفاء والولاة واحترام العامة، وقد أسهم هذا التقدير في تعزيز دور العلماء في الحياة العامة، ومنحهم تأثيراً واسعاً في المجتمع.

وشهدت بغداد انفتاحاً اجتماعياً كبيراً، واختلاطاً بين العرب والفرس والموالي، مما خلق مجتمعاً متنوعاً قادراً على استيعاب العلماء الدمشقيين. فرأى العلماء الدمشقيون في بغداد بما فيها من نشاط ثقافي بيئة خصبة تتيح تكوين علاقات جديدة، وتتجاوز القيود الاجتماعية التي ظهرت بعد سقوط الأمويين (المسعودي، 2005، ج3، 285)؛ (ضيف، 1966، 89).

وهنا لابد من طرح التساؤل الآتي: هل كان مفهوم الرحلة في طلب العلم جزءاً من الثقافة العربية الإسلامية؟

يمكن القول بأن الهجرة من دمشق إلى بغداد لم تكن مجرد حركة اجتماعية، بل كانت جزءاً من هوية العالِم في الدولة العربية الإسلامية، وشرطاً من شروط اكتمال تحصيله العلمي، فرحلات العلماء بدأت منذ عصر الصحابة، وارتبطت بالتحقق العلمي ولقاء الشيوخ، منطلقين من مبدأ أن العالِم لا يكتمل علمه حتى يتنقل بين البلدان، ويلتقي بأهل العلم، ويجمع الروايات (الخطيب البغدادي، 1975، 16)؛ (ابن سعد، 1968، ج7، 322)؛ (أمين، د.ت، ج2، 370). وكان من طبع العلماء الرغبة في الاندماج مع أقرانهم، وتبادل المعرفة، وبناء شبكة اجتماعية قوية من التلاميذ والشيوخ. وقد أتاحت بغداد هذا الأمر بشكل لم يكن موجوداً في دمشق، لأنها كانت مركزاً عالمياً يجتمع فيه العلماء من خراسان، وفارس، والجزيرة، واليمن ومصر. وقد أعطى هذا التنوع للعلماء الدمشقيين شعوراً بأن وجودهم في بغداد سيحقق لهم حضوراً أوسع وانتشاراً أكبر ومكانة علمية لا تتوافر في دمشق بعد أن فقدت مكانتها المركزية (اليعقوبي، 2010، م2، 299)؛ (ضيف، 1966، 97).

فقد كانت بغداد مركزاً جاذباً منح العلماء مكانة رفيعة في المجتمع، ووفر لهم فرص عمل كريمة، كما كانت مركزاً للتنافس العلمي الشريف، حيث تُعرض الكتب، وتُناقش الآراء، وتُقام المناظرات وتُحضر المجالس العلمية التي قد تتوّج العالِم بمكانة كبيرة. ولذلك رأى

(4)- يوحنا بن ماسويه (161-243هـ/ 777-857م): وهو أبو زكريا يحيى بن ماسويه، كان طبيباً سريانياً بارزاً، ومترجماً لكثير من الكتب، وعمل طبيباً في بغداد. الفهرست، 1997، 411.

كثير من علماء دمشق أن الهجرة إلى العراق ليست مجرد ضرورة اقتصادية أو سياسية، بل هي خطوة لتحقيق طموح علمي، وإثبات الذات في ساحة واسعة ذات تأثير حضاري كبير.

خامساً: أبرز علماء دمشق الذين هاجروا إلى بغداد وأهم إسهاماتهم

إنَّ غالبية العلماء الدمشقيين الذين هاجروا إلى بغداد في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي كانوا من المشتغلين بعلوم الحديث والفقه، مع حضور أقل لعلماء اللغة والقراءات والطب والعلوم العقلية الأخرى. ويُعزى ذلك إلى المكانة التي شغلها علم الحديث في المدرسة الشامية، حيث عُرفت دمشق بكثرة المحدثين وضبط الرواية. وشكّلت هذه الهجرة مرحلة مفصلية في تطوّر العلوم الإسلامية، إذ أسهم هؤلاء العلماء في نقل تراث الشام الأموي إلى المراكز العلمية الصاعدة، وأثْروا الحياة الفكرية في العراق من خلال تدريسهم، ورواياتهم، وتأليفهم، وتفاعلهم مع المدارس الفقهية واللغوية والكلامية. ويمكن تقسيم هجرة علماء دمشق إلى بغداد إلى نمطين رئيسين، هجرة مؤقتة بقصد السماع ثم العودة إلى دمشق، وهجرة دائمة تنتهي باستقرار العالِم في بغداد. ويُلاحظ أن النمط الثاني ازداد مع استقرار الدولة العباسية وتنامي دور بغداد العلمي (الخضر، 2010، 63، 67). وفيما يلي استعراض لعدد من العلماء والأدباء الذين هاجروا من دمشق إلى بغداد، حيث تم ترتيبهم حسب الاختصاص وحسب تاريخ الوفاة، ومن أبرزهم:

1- الوطين بن عطاء (ت147هـ/ 762م)

هو الوطين بن عطاء بن كنانة بن عبد الله بن مصدع أبو كنانة (ابن عساكر، 1995، ج63، 42)، أصله من بانياس [5]، وسكن في قرية كفرسوسية[6]، وانتقل إلى بغداد بعد قيام الدولة العباسية وعلم فيها، وقد التقى في أواخر حياته بالخليفة أبي جعفر المنصور، إلا أنه لم يمكث بها طويلاً وعاد إلى دمشق وتوفي فيها (ابن سعد، 1968، ج7، 466)؛ (الخطيب البغدادي، 2004، ج13، 486).

2- عبد الله بن يزيد بن آدم الشامي الدمشقي (ت 150هـ/ 765م)

وهو من المحدثين الثقات (المزي، 1992، م16، 319)، قدم إلى بغداد في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور وعلم فيها (البغدادي، 2004، ج10، 194).

3- محمد بن عبد الله بن المهاجر النصري الشعيثي ويقال العقيلي (ت 154هـ/ 769م)

محدث ثقة من أهل دمشق (المزي، 1992، م25، 559)، قدم بغداد وحدث بها، ولاه الخليفة أبو جعفر المنصور بيت المال (البغدادي، 2004، ج3، 6).

4- عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي الشامي (ت 154هـ/ 769م)

ذكرت المصادر أن أبوه بصري رحل إلى دمشق واستقر بها، وولد عبد الرحمن في دمشق ونشأ وتعلم بها، ويعد من المحدثين الثقات، كتب إليه الخليفة أبو جعفر المنصور بالقدوم إلى بغداد، فقدم إليه وعلم فيها (الذهبي، 1996، ج7، 177)؛ (البغدادي، 2004، ج10، 209، 211).

5- الإمام الأوزاعي (88–157هـ/707– 774م)

يُعدّ الإمام عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي من أبرز علماء الشام في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وإمام أهل الشام في الفقه والحديث. وُلِد في بعلبك سنة 88هـ/707م تقريباً، ونشأ في البقاع وانتقل بعد ذلك إلى دمشق وعاش فيها، لينتقل في أواخر حياته إلى بيروت وبها توفي سنة 157هـ/774م في آخر خلافة أبي جعفر وهو ابن سبعين سنة.

(5)– بانياس: إحدى مدن بلاد الشام من نواحي دمشق، تقع على حدود لبنان، وفيها نهر شديد البرودة ينبع من جبل الثلج. المقدسي. 1991. ص: 160.
(6)– كفرسوسية: وردت بهذا اللفظ وهي من قُرى مدينة دمشق. الحموي. 1977. ج: 4. ص: 496، وتعرف حالياً بكفرسوسة وتقع إلى الجنوب من مدينة دمشق.

أخذ العلم عن مكحول ويحيى بن أبي كثير وغيرهما، ثم برز اسمه في الحياة العلمية الشامية حتى صار مرجعاً في الفتوى والقضاء، وكان له دور حاسم في تبلور عقيدة أهل الشام، إذ عُرف بتمسكه بالسنة وجرأته في قول الحق أمام الحكام، مما أكسبه مكانة علمية وأخلاقية رفيعة (ابن سعد، 1968، ج7، 488)؛ (الذهبي، 1996، ج7، 107، 115)؛ (ابن كثير، 2007، ج10، 360، 362)؛ (حلاق، 2007، 88، 92)، وربط الحركة العلمية بين الشام والحجاز والعراق من خلال الرحلات العلمية التي قام بها.

ذهب الأوزاعي إلى بغداد بناءً على طلب من الخليفة أبي جعفر المنصور، وعلى الرغم من إقامته القصيرة في بغداد، إلا أن مدرسته وأفكاره ومذهبه انتقل إلى بغداد في وقت مبكر عبر سلسلة من العلماء الدمشقيين الذين تتلمذوا على يده، وانتقل معهم منهج الفقه الشامي إلى العراق، فأثروا في المدارس الفقهية التي نشأت حديثاً قبل أن يطغى المذهب الحنفي، وقد تولى بعضهم مناصب القضاء والتدريس هناك، ومثلوا نموذجاً مبكراً للتأثير العلمي الشامي. وهو ما يبرز عمق تأثير دمشق في التكوين الفقهي المبكر لبغداد، وقد كان الأوزاعي مرجعاً في قضايا الجهاد والقضاء والأوقاف (ابن سعد، 1968، ج7، 488)؛ (ابن كثير، 2007، ج10، 365، 366)؛ (المزي، 1980، ج17، 308، 312).

6- محمد بن راشد أبو يحيى (160هـ/ 776م)

ويقال له أبو عبد الله الخزاعي الشامي، من أهل دمشق، وهو من المحدثين الثقات (المزي، 1992، م25، 186، 191)، ترك دمشق ولجأ إلى العراق هرباً من مروان بن محمد بعد اتهامه له بقتل الوليد بن يزيد، كذلك حدث في مدن البصرة وبغداد وتوفي في عهد الخليفة المهدي (الذهبي، 1996، ج7، 343)؛ (البغدادي، 2004، ج2، 337).

7- أبو عبد الله عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان الشامي الدمشقي (165هـ/ 781م)

أصله من خراسان وسكن الشام وتعلم بها، وهو من المحدثين الثقات، انتقل إلى بغداد وحدث فيها، وعينه الخليفة أبو جعفر المنصور على بيت المال، واستمر في عهد المهدي على بيت المال (الذهبي، 1996، ج7، 313، 314)؛ (المزي، 1992، م17، 12، 15)؛ (البغدادي، 2004، ج10، 221، 222).

8- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري الشامي (ت 186هـ/ 802م)

من أئمة الحديث الثقات في دمشق، وله مؤلفات في السير، زار بغداد في عهد الخليفة هارون الرشيد وعلم فيها (الذهبي، 1996، ج8، 539، 542)؛ (ابن عساكر، 1995، ج7، 119).

9- آدم بن عبد العزيز (ت 160هـ/ 777م)

يعد آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز أول شاعر أموي في العصر العباسي، فقد عاصر سقوط الدولة الأموية، وكان ممن عفا عنهم عبد الله بن علي من أمويي دمشق. فانتقل من دمشق إلى بغداد عاصمة الدولة العباسية وعلم فيها، وكان والده مقرباً من الخليفة المنصور، وأستطاع أن يصل للخليفة المهدي ويصبح من أصدقائه (الأصفهاني، 1994، ج15، 286، 291)؛ (ابن حزم، د.ت، 106).

10-أبو تمام الطائي (ت231هـ/ 845م)

هو حبيب بن أوس الطائي وُلد سنة 172هـ/ 788م، في قرية جاسم بالقرب من دمشق، اختلفت الروايات في مكان نشأته، فمنهم من ذكر أنه نشأ في مصر (البغدادي، 2004، ج8، 242)، ومنهم من ذكر أنه نشأ في دمشق حيث تلقى علوم اللغة العربية وفنون البلاغة والشعر على يد أساتذة دمشق. أبدى ميلاً منذ صغره للشعر ونظم القصائد، متأثراً بالمدارس الشعرية الدمشقية التقليدية، هاجر أبو تمام إلى بغداد في عهد الخليفة المعتصم، بدعوة رسمية لدعم الحركة الأدبية في العاصمة العباسية، حيث كانت الدولة العباسية تسعى لاستقطاب أعلام الشعر والأدب من الشام لتعزيز مكانة العاصمة الجديدة. كما أسهم في نظم قصائد في المديح والهجاء، واشتهر بالجزالة وفصاحة اللفظ، مع استخدام الصور البيانية المعقدة والمجازات الدقيقة، ومن أبرز أعماله المعلقات الصغيرة التي أضاف إليها أسلوباً فنّياً

جديداً. حيث نقل الأسلوب الدمشقي الأصيل إلى بغداد، وأسهم في تأسيس مدرسة شعرية، وأثر في الأدب العباسي المبكر (ابن المعتز، 1956، 284)؛ (ضيف، 1966، 270،268).

لم يقتصر تأثير العلماء الدمشقيون على من سافر منهم إلى بغداد فقط، بل أثر عدد منهم وبالرغم من وفاة بعضهم قبل قيام الدولة العباسية من خلال تلاميذهم الذين انتقلوا فيما بعد من دمشق إلى بغداد ونقلوا معهم ما تعلموه، ونقلوا إرث هؤلاء العلماء العلمي الذي تركوه خلفهم، مشكلين نموذج يمكن تسميته بالهجرة العلمية الغير مباشرة ومنهم:

1- ابن شهاب الزهري (51–124هـ/ 672- 742م)

هو محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث حافظ زمانه أبو بكر القرشي الزهري، ولد في الشام، ويمثّل نقطة تحول في تاريخ علم الحديث، إذ جمع بين الرواية والدراية، وأسهم في نقل الحديث من الطور الشفهي إلى الطور المكتوب. وبالرغم من أن وفاة الإمام محمد بن شهاب الزهري كانت في وقت مبكر من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، إلا أن أثره في بغداد كان بالغاً، وكان من أوائل من وضعوا الأسس التي وصلت إلى العراق لاحقاً من خلال تلاميذه الشاميين الذين هاجروا لاحقاً إلى العراق، حاملين معهم منهجه في تدوين الحديث، وقد أقام الزهري سنوات في العراق والتقى بعلمائها، وروى عنه علماء العراق، وأسهم بنقل علم الشام إلى باقي مناطق الدولة العربية الإسلامية، فمجالسه كانت تستقطب أهل العلم كافة، الذين كانوا يتوقفوا عن الرواية حتى يخرج. حيث أسس منهج التدوين في الحديث الذي اعتمده علماء بغداد لاحقاً وتأثر به أصحاب الإمام مالك، ثم الشافعي، وله نحو ألفي حديث (الذهبي، 1996، ج7، 197)؛ (المزي، 1980، ج25، 554، 555)؛ (أبيض، 1980، 369).

2- عبد الحميد بن يحيى الكاتِب (ت 132هـ/ 750م)

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد من موالي بني أمية، نشأ في الشام، وارتبط ارتباطاً وثيقاً بدمشق، وتلقى علومه في بيئة إدارية وأدبية خالصة. ويُعدّ من أوائل من أسّسوا فن الكتابة الديوانية، حيث عمل كاتباً في دواوين الدولة الأموية، وكان من خاصّة مروان بن محمد، وقد انعكست البيئة الشامية في أسلوبه الذي امتاز بالرصانة والاتزان. بالرغم من مقتله مع نهاية عصر الدولة الأموية، إلا أنَّ أثره انتقل إلى بغداد عبر تلاميذه ومنهم يعقوب بن داود [7] وزير المهدي (الذهبي، 1988، ج8، 471). وانتقل أثره كذلك عبر نصوصه التي أصبحت المرجع الأساس للكتابة العباسية، وقد اعتمد الكُتّاب العباسيون في بغداد على رسائله بوصفها نموذجاً يُحتذى (الذهبي، 1996، ج5، 462)؛ (النديم، 1997، 170)؛ (ابن خلكان، د.ت، ج2، 394).

ومن العلماء المحدثين الذين هاجروا من دمشق إلى بغداد كذلك محمد بن مصعب بن صدقة القرقيساوي أحد تلامذة الأوزاعي، حيث انتقل من الشام واستقر في بغداد وعلم فيها. ومن كوكبة العلماء الذين هاجروا إلى بغداد منهم بقية بن الوليد [8]، الذي هاجر خوفاً من الاضطرابات السياسية. وقد أسهم رغم طبيعة هجرته القسرية في نشر العلوم الشامية داخل العراق (أبيض، 1980، 373).

سادساً: آثار الهجرة العلمية من دمشق إلى بغداد في العصر العباسي الأول

شكلت هجرة العلماء من دمشق إلى بغداد في العصر العباسي الأول حدثاً محورياً أثّر في مسار الحركة العلمية الإسلامية خلال القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، حيث ساهمت هذه الحركة في إعادة توزيع المعرفة وتوطينها في مراكز جديدة، مع ما رافقها من تغيّر في البنية الاجتماعية والسياسية للعلماء. كما أدّت إلى انتقال الخبرات العلمية الشامية إلى بيئة عراقية أكثر ازدهاراً، وشجعت على تأسيس مؤسسات علمية رسمية ودعم المشاريع الفكرية الكبرى، بما فيها علوم القرآن، الحديث، الفقه، اللغة، والطب والمناظرات العقلية.

(7)- يعقوب بن دواود: هو أبو عبد الله يعقوب بن داود بن طهمان، كان والده داود بن طهمان كاتباً لنصر بن سيار استوزره المهدي ولكن تم عزله فيما بعد وسجن، ثم اطلق سراحه وبقي في مكة حتى وفاته. ابن الأثير. 2003، ج: 5. ص: 250.

(7) – بقية بن الوليد: يكنى أبا يحمد، وكان ثقة في روايته، مات سنة (197هـ/812م) في آخر خلافة محمد بن هارون. ابن سعد. 1957م. ج: 7. ص: 469. ابن حجر. 2004. ج1، ص: 440-448.

1- على الصعيد السياسي والإداري

كان للهجرة آثار على الصعد كافة، وقد توضحت في البداية على الصعيد السياسي، وهنا يظهر التساؤل الآتي: هل كان لعلماء دمشق تأثيراً أو دوراً في السياسة العباسية؟

أسهمت هجرة علماء دمشق إلى بغداد في ترسيخ الشرعية السياسية للدولة العباسية، من خلال مشاركتهم في الحياة العلمية والدينية للعاصمة. فقد مثّل حضورهم العلمي دعماً رمزياً لمكانة بغداد بوصفها مركز الخلافة والعلم معاً (الطبري، 1967، ج7، 438). كما أسهم العلماء الدمشقيون في صياغة خطاب ديني ذي أبعاد سياسية، تمثل في تفسير النصوص الشرعية وتوجيهها بما يخدم وحدة الدولة العباسية. من خلال التأكيد على الطاعة العامة، ووحدة الجماعة، ونبذ الفتن، فأسهموا بآرائهم العلمية في معالجة قضايا عامة ذات طابع سياسي (الخطيب البغدادي، 2004، ج1، 68، 74)؛ (ابن خلدون، 1980، 434).

كما أدت هذه الهجرة إلى تقليص الفجوة المعرفية والسياسية بين الأقاليم ومركز الخلافة. فوجود علماء يمثلون أقاليم مختلفة داخل بغداد ساعد على نقل هموم تلك الأقاليم ورؤاها إلى مركز القرار ولو بشكل غير مباشر. ما أثر في تحقيق نوع من الانسجام السياسي داخل الدولة العباسية (الدوري، 1986، 214).

والجدير بالذكر مشاركة العلماء الدمشقيين في استشارات الخلفاء، فساعد هذا التفاعل على توطيد سلطة الدولة عبر دعمها للعلماء وتأمين ولائهم، ومنح العلماء دوراً مؤثراً في صياغة التشريعات والسياسات، فتم ربط السلطة بالعلم لتعزيز سياسة العباسيين واستقرار حكمهم، ووحدت المرجعيات الفقهية والقانونية التي استندت إليها الدولة العباسية، بعد أن نقلوا معهم التقاليد الفقهية والإدارية من مناطقهم، ما أسهم في تقليل التباين في تطبيق الأحكام بين الأقاليم. وكان لعلماء دمشق دور مؤثر في تطوير بعض جوانب الجهاز الإداري للدولة العباسية، ولا سيما في المجالات المرتبطة بالقضاء، والفتوى، والكتابة في الدواوين. فقد استعانت الدولة بعدد من العلماء في مناصب إدارية، اعتماداً على مكانتهم العلمية ومعرفتهم بالفقه واللغة (الخطيب، 2004، ج1، 68، 74)؛ (ابن خلدون، 1980، 434).

2- على الصعيد العلمي

تمرس العلماء الدمشقيون مسبقاً في العمل الإداري والعلمي في ظل الدولة الأموية، فأدت هجرتهم إلى انتقال خبرات دمشقية غنية إلى بغداد في شتى العلوم. والسؤال المطروح هنا هل كان لهجرة العلماء الدمشقيين مساهمة في التطور العلمي في بغداد أم كان ذلك نتيجة طبيعية للتطور الحضاري؟

أسس العلماء الدمشقيون حلقات جديدة للتعليم في بغداد، والتي أصبحت فيما بعد مراكز لتعليم المحدثين والفقهاء واللغويين وباقي العلوم العقلية (الذهبي، 1996، ج7، 197). وقد كان لهذه الحلقات أثر طويل الأمد في توحيد قواعد المنهج العلمي وتطوير نظام الرواية والتدريس، وتنظيم التعليم من خلال تحديد أوقاته وأماكنه ونقله من ممارسة فردية محدودة إلى مستوى مؤسسي منظم، ما أسهم في تدريب جيل جديد من العلماء الذين أصبحوا لاحقاً معلمين ومحدثين وخلق بيئة تنافسية علمية تشجع على الابتكار والإنتاج المعرفي وإثراء البيئة العلمية في بغداد (النديم، 1997، 36)؛ (الخطيب البغدادي، 2004، ج1، 68).

وأسهم علماء دمشق في توسيع نطاق البحث العلمي في مجالات عدة ومنها علوم القرآن حيث تم نقل روايات الدمشقيين ومناهجهم في القراءات المختلفة إلى بغداد (الطبري، 1967، ج7، 438). إضافة إلى علم الحديث إذ نقلوا الأسانيد والروايات الخاصة بالمدرسة الدمشقية، فتوسعت الأسانيد والروايات، وتم جمع الأحاديث وتصنيفها، ما أضاف ثراءً للمصادر العراقية. وكذلك توسع نطاق البحث العلمي في الفقه حيث أسهموا في إدخال مدارس فقهية جديدة وإثراء النقاش بين المذاهب، وفي كتابة شروح في الفقه، ما ساعد على تنوع الاجتهادات، بين مدارس الكوفة والبصرة ودمشق وبغداد (ابن حجر، 2004، ج4، 75)؛ (الخطيب البغدادي، 2004، ج9، 214)، وظهرت تيارات عقلية جديدة، مثل الاعتزال والمناظرات الكلامية والفلسفية وتطور الفقه المقارن بين المذاهب (الشهرستاني، 1975، ج1،

43)؛ (ضيف، 1966، 132). كما توسع نطاق البحث في النحو واللغة إذ جلبوا خبرة دمشق اللغوية إلى بغداد، وشاركوا في تعليم النحو والصرف، مؤثرين في أجيال لاحقة من العلماء (الصفدي، 2000، ج15، 86).

وأسهم علماء دمشق في تشجيع التأليف، وكتابة شروح في النحو. وتوثيق المدارس العلمية لضمان نقل المعرفة للأجيال القادمة، ما أدى إلى بناء تراث معرفي ومنهجي موثق يشكل قاعدة للعلوم الإسلامية اللاحقة. كما أدى تفاعل علماء دمشق إلى تأسيس قاعدة ثقافية متسعة، شجعت على الانفتاح على علوم جديدة مثل الفلسفة والطب والرياضيات، التي بدأت تظهر في بغداد لاحقاً، حيث طورت طرق التعليم والحفظ والرواية، وكذلك نتج عن هذه الهجرة خلق حركة ثقافية دائمة، حيث أصبح العلماء يتنقلون بين الشام والعراق لتبادل المعرفة. وقد ساهم هذا في تكوين شبكة واسعة من الاتصال العلمي، ما ساعد على انتشار الكتب، وتعليم اللغة العربية، وإقامة المجالس العلمية الكبرى، مثل حلقات بيت الحكمة (المسعودي، 2005، ج3، 54، 285)؛ (الذهبي، 1996، ج16، 457). كما نُقلت الخبرة السريرية الشامية إلى بغداد في مجال الطب، القائمة على الممارسة والعلاج، حيث تفاعلت مع الترجمة والبحث النظري. وانتقل الأسلوب الأموي الرصين في مجال الأدب، ليصبح أساساً للأدب العباسي الرسمي. أما في اللغة فقد أسهم اللغويون والنسّاخ في ضبط العربية، وهو شرط أساس لازدهار العلوم كافة.

وقد ساعد هذا الانفتاح على توسيع دائرة النقاش العلمي وإيجاد بيئة خصبة للإبداع الفكري. فأسهم العلماء الدمشقيون المهاجرون في دعم بيت الحكمة وباقي المكتبات، كما أسهموا في تطوير مشاريع الترجمة للعلوم اليونانية والهندية والفارسية، وبذل الخلفاء العباسيون العطايا بسخاء للمترجمين. وعمل علماء دمشق مع باقي العلماء على حفظ المخطوطات وتنظيمها بطريقة منهجية، وتدريب الطلاب على البحث العلمي ومهارات التدوين (شلبي، 1985، 230، 241، 246)؛ (أمين، د.ت، 381). وبالتالي نشأت بيئة تعليمية متعددة المستويات في بغداد، حيث وُجدت مجالس مخصصة للمبتدئين، وأخرى للمتقدمين، وثالثة للمناظرات العلمية (المسعودي، 2005، ج3، 54)؛ (ضيف، 1966، 101). وقد أسهم هذا التنوع في تحسين جودة التعليم الذي راعى الفروق العلمية بين الطلاب. فأصبحت بغداد مركزاً للعلم والثقافة بعد انصهار الخبرات الدمشقية والعراقية في نموذج حضاري متكامل، قادر على استيعاب علماء من مختلف الأمصار.

3- على الصعيد الاجتماعي

ساهم علماء دمشق في نقل طرق التدريس وأساليب الدراسة المتقدمة إلى بغداد، ما عزز القيمة الاجتماعية للمعرفة، وبدأت تظهر مهن علمية جديدة مثل النساخ والوراقين والمعلمين، وتم دمج العلماء في مؤسسات الدولة مثل القضاء وكتابة الدواوين. كما حظي العلماء باحترام كبير وارتفعت مكانتهم في المجتمع العراقي، حيث أفرزت الهجرة نخبة علمية جديدة في بغداد، كان لها نفوذ حقيقي. وهنا يبرز تساؤل إشكالي: هل أفقد القرب من السلطة العلماء استقلالهم؟

تدل الوقائع على أن العلاقة كانت معقدة، إذ استفاد العلماء من دعم الدولة، وفي الوقت نفسه حافظ بعضهم على مكانة علمية مستقلة، مما أسهم في تعزيز مكانة العلم داخل المجتمع. إذ شارك علماء دمشق في تطوير التعليم والنهوض بالعلم في بغداد، فارتفعت مكانتهم الاجتماعية.

وأسهمت هجرة علماء دمشق إلى بغداد في العصر العباسي الأول في إحداث تحوّل اجتماعي ملموس داخل الوسط العلمي البغدادي، إذ أدّت إلى نشوء طبقة علمية متعدّدة الأصول والانتماءات الجغرافية، كان لعلماء دمشق حضور واضح ومؤثر فيها. وقد انعكس هذا التنوع على طبيعة العلاقات الاجتماعية بين العلماء والطلاب، حيث لم تعد بغداد مركزاً محلياً للعلم، بل فضاءً اجتماعياً علمياً مفتوحاً يستوعب تقاليد علمية متنوعة، من بينها التقليد العلمي الدمشقي المعروف بتركيزه على الرواية والتدوين المنهجي (اليعقوبي، 2010، م2، 333)؛ (الخطيب البغدادي، 2004، ج1، 67، 68).

وأسهم علماء دمشق مع علماء بغداد في إرساء منظومة من القيم الاجتماعية المرتبطة بالعلم، مثل احترام مجالس العلماء، والانضباط في طلب العلم، والاهتمام بالتدوين والحفظ. وقد أثّر هذا في سلوكيات الطلاب والمجتمع العلمي، فظهر الزهد، والتواضع العلمي، والانضباط الأخلاقي، وقد انعكس ذلك في احترام المجتمع للعلماء، والإقبال الاجتماعي على التعليم (النديم، 1971، 171)؛ (المسعودي، 2005، ج3، 54، 55).

سابعاً: الخاتمة

شكلت الهجرة العلمية من دمشق إلى بغداد بعد سقوط الدولة الأموية ظاهرة مركّبة تتجاوز حدود الانتقال الجغرافي لتعبّر عن تحوّل حضاري شامل في مراكز العلم الإسلامي. فقد أدى انتقال العاصمة من دمشق إلى بغداد إلى إعادة توزيع البنية العلمية، حيث فقدت دمشق مكانتها بصفتها مركزاً سياسياً وثقافياً أول، في حين صعد العراق بمدنه الكبرى لاسيما بغداد ليصبح مركز الثقل العلمي والحضاري في العصر العباسي.

ولم تكن هجرة العلماء نتيجة الاضطرابات السياسية فحسب، بل جاءت مدفوعة بعوامل علمية قوية، فالعراق في العصر العباسي الأول قدّم بيئة معرفية غنية، شملت مدارس فقهية متعددة، ونشاطاً لغوياً واسعاً، ونهضة تدوينية غير مسبوقة، وحركة ترجمة أسهمت في توسيع أفق العلوم الإسلامية والعقلية. وقد شكّل هذا مناخاً جاذباً للعلماء الشاميين الذين وجدوا فيه فرصة للاندماج في بيئة علمية أكثر ثراءً وقدرة على تحقيق طموحاتهم البحثية.

كما اتضح أن الهجرة أسهمت في إثراء المشهد العلمي العراقي، فالعلماء الشاميون بأسانيدهم، ورواياتهم، ومناهجهم، ومدارسهم الفقهية والعقلية أدخلوا إلى العراق موروثاً علمياً متجذراً، شكّل مادة أساسية استفاد منها المحدّثون والفقهاء واللغويون في بغداد، وأسهموا في نقل التراث العلمي الدمشقي إلى بغداد، مما عزّز من التنوع الفكري ومن تراكم المعرفة في العصر العباسي.

ويمكن القول إن هذه الهجرة تركت أثراً طويل المدى على العلاقة العلمية بين الشام والعراق، إذ أصبح العلماء الشاميون جزءاً من النسيج العلمي العباسي، وأسهموا في تشكيل هوية علمية جديدة قائمة على التفاعل بين المدارس الإقليمية المختلفة. ولم يكن تأثير الهجرة أحادي الاتجاه، بل عاد جزء من هذا التفاعل إلى الشام لاحقاً عبر تلاميذ عادوا إليها حاملين معهم نتاج المدارس العراقية.

ومثّلت هجرة علماء دمشق إلى بغداد جسراً حضارياً نقل المعرفة بين مدينتين مركزيتين في العالم الإسلامي، وأسهم في بناء النهضة العباسية التي أصبحت أحد أنصع العصور الفكرية في تاريخ العرب والمسلمين. وتدل هذه الحركة على أنّ العلوم الإسلامية تشكّلت عبر تواصل الحواضر لا عبر انعزالها، فازدهار بغداد لم يكن ليكتمل لولا رفدها بخبرات العلماء من الشام، والحجاز، وخراسان، ومصر. وأثبتت تجربة الهجرة أن السلطة والرعاية العلمية متلازمان، فالدولة العباسية وفّرت الدعم المالي والمعنوي، ما جعل العلماء قادرين على العمل في بيئة مستقرة ومثمرة، وصلوا فيها إلى مستوى متقدم في كل العلوم.

المصادر المستخدمة والمراجع:

1. القرآن الكريم
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين:
2. (1994م). الأغاني. تح: محمد عبد القادر عطا. (د. ط). القاهرة: مصر. دار الفكر.
- أبيض، ملكة. (1980):
3. التربية والثقافة العربية الإسلامية في الشام والجزيرة. ط: 1. بيروت: لبنان. دار العلم للملايين.
- الهامي، محمد. (2013م):
4. العباسيون الأقوياء. (د. ط). القاهرة: مصر. مؤسسة أقرأ.
- أمين، أحمد:
5. (د.ت). ضحى الإسلام. القاهرة: مصر. مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر:
6. (1992م). البيان والتبيين. تح: عبد السلام هارون. ط: 1. القاهرة: مصر. مكتبة الخانجي.
- الجهشياري، محمد بن عبدوس:
7. (1938م). الوزراء والكتاب. تح: مصطفى السقا. ط: 1. القاهرة: مصر. دار الفكر العربي.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد:
8. (1992م). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تح: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا. ط: 1. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية.
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي:
9. (2004م). تهذيب التهذيب. تح: أحمد عادل عبد الموجود، محمد علي معوض. ط: 1. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية.
- ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي:
10. د.ت. جمهرة أنساب العرب. تح: عبد السلام هارون. ط: 5. القاهرة: مصر. دار المعارف.
- حلاق، وائل:
11. (2007م). تاريخ النظريات الفقهية الإسلامية. ترجمة: أحمد موصللي. ط: 1. كمبريدج: المملكة المتحدة. مطبعة جامعة كامبريدج.
- الخضر، زكريا هاشم أحمد:
12. (2010م). إسهامات علماء دمشق في الحركة الفكرية ببغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري. ط: 1. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية.
- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت:
13. (2004م). تاريخ بغداد. تح: مصطفى عبد القادر عطا. ط: 2. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية.
14. (1975م). الرحلة في طلب الحديث. تح: نور الدين عتر. ط: 1. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد:
15. (1980م). المقدمة. ط: 4. بيروت: لبنان. دار القلم.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر:

16. (د. ت). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تح: محمد محي الدين عبد الحميد. (د. ط). القاهرة: مصر. مكتبة النهضة المصرية.

- الدوري، عبد العزيز:

17. (1986م). تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري. ط: 2. دمشق: سورية. دار طلاس.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد:

18. (1988م). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تح: عبد السلام تدمري. ط: 1. بيروت: لبنان. دار الكتاب العربي.
19. (1996م). سير أعلام النبلاء. تح: شعيب الأرناؤوط. ط: 11. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة.

- الزور، خليل داوود:

20. (د.ت). الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة. (د. ط). بيروت: لبنان. دار الآفاق الجديدة.

- ابن سعد، محمد بن سعد:

21. (1968م). الطبقات الكبرى. تح: احسان عباس. ط: 1. بيروت: لبنان. دار صادر.

- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي:

22. (1980). أدب الإملاء والاستملاء. (د. ط). بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر:

23. (1379هـ). تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي. تح: عبد الوهاب عبد اللطيف. ط: 1. المدينة المنورة: المملكة العربية السعودية. المكتبة العلمية.

- شلبي، أحمد:

24. (1985م). موسوعة التاريخ الإسلامي. ط: 8. القاهرة: مصر. مكتبة النهضة.

- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد:

25. (1975م). الملل والنحل. تح: محمد سيد كيلاني. ط: 2. بيروت: لبنان. دار المعرفة.

- الصفدي، خليل بن أيبك:

26. (2000م). الوافي بالوفيات. تح: أحمد الأرناؤوط. ط: 1. بيروت: لبنان. دار إحياء التراث العربي.

- ضيف، شوقي:

27. (1966م). تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول. (د. ط). القاهرة: مصر. دار المعارف.

- الطبري، محمد بن جرير:

28. (1967م). تاريخ الأمم والملوك. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: 1. القاهرة: مصر. دار التراث.

- عبد العزيز، محمد الحسيني:

29. (1973). الحياة العلمية في الدولة الإسلامية. الكويت. وكالة المطبوعات.

- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة:

30. (1988). بغية الطلب في تاريخ حلب. تح: سهيل زكار. (د. ط). بيروت: لبنان. دار الفكر.

- ابن عساكر، علي بن الحسين:

31. (1995). تاريخ دمشق. تح: عمرو بن غرامة العمروي. ط: 1. بيروت: لبنان. دار الفكر.

- ابن عساكر. علي بن الحسين:

32. (1978). تهذيب تاريخ مدينة دمشق. هذبه: عبد القادر بدران. (د. ط). بيروت: لبنان. دار السيرة.

- علي، أحمد إسماعيل:

33. (1994م). تاريخ بلاد الشام. ط: 3. دمشق: سوريا. دار دمشق.

- العمري، عبد الله:

34. (1990م). تاريخ العلم عند العرب. د ط. عمان: الأردن. دار مجدلاوي.

- عيسى بك، أحمد:

35. (1981م). تاريخ البيمارستانات في الإسلام. ط: 1. القاهرة: مصر. دار الفكر العربي.

- فروخ، عمر:

36. (1970م). تاريخ العلوم عند العرب. بيروت: لبنان. دار العلم للملايين.

- ابن كثير، أبو إسماعيل بن عمر:

37. (2007م). البداية والنهاية. تح: محمد حسان عبيد، مأمون محمد سعيد الصاغرجي. ط: 1 دمشق: سورية. دار ابن كثير.

- الكندي، أبو عمر بن يوسف:

38. (1908م). ولاة دمشق. تهذيب: رفن كست. (د. ط). بيروت: لبنان. مطبعة الآباء اليسوعيين.

- – المبرد، أبو عبد الله محمد بن يحيى:

39. (1998م). الكامل في اللغة والأدب، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط: 1. القاهرة: مصر. دار الفكر العربي.

- متز، آدم:

40. (1957). الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة. (د. ط). القاهرة: مصر. لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- المزي، يوسف بن عبد الرحمن:

41. (1992م). تهذيب الكمال في أسماء الرجال. تح: بشار عواد معروف. ط: 1. بيروت: لبنان. مؤسسة الرسالة.

- المسعودي، علي بن الحسين:

42. (2005). مروج الذهب ومعادن الجوهر. تح: كمال حسن مرعي. ط: 1. بيروت: لبنان. المكتبة العصرية.

- المصنف، عبد الرحمن أحمد حفظ الدين:

43. (1421هـ). الحركة العلمية في العصر الأموي في المشرق الإسلامي. ماجستير. شعبة التاريخ الإسلامي. قسم التاريخ. كلية الآداب. صنعاء: اليمن. جامعة صنعاء.

- ابن المعتز:

44. (1956). طبقات الشعراء. ت: عبد الستار أحمد فراج. (د. ط). مصر. دار المعارف.

- معروف، بشار عواد:

45. (1958م). حضارة العراق. (د. ط). بغداد.

- مقدسي، جورج:

46. (1996م). نشأة الفكر العلمي في الإسلام. تر: رضوان السيد. بيروت: لبنان. دار الطليعة.

- المقدسي، محمد بن أحمد:

47. (1991). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تح: عبد الرحمن النجدي. ط: 1. الإمارات العربية المتحدة. دار السويدي.

- ابن منظور، محمد بن مكرم:

48. (1990م). مختصر تاريخ دمشق. تح: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع الحافظ. ط: 1. دار الفكر.

- مؤنس، حسين:

49. (1982م). التاريخ الإسلامي المجتمع والدولة. ط: 4. القاهرة: مصر. دار المعارف.

- النديم، محمد بن إسحاق:

50. (1997م). الفهرست. تح: رضا تجدد. ط: 2. بيروت: لبنان. دار المعرفة.

- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح:

51. (2010). تاريخ اليعقوبي. تح: عبد الأمير مهنا. ط:1. بيروت: لبنان. شركة الأعلمي للمطبوعات.

- Kennedy, Hugh:

52. 1981, The Early Abbasid Caliphate, Croom Helm, London, Sydney,